**المحاضرة رقم 4 : (الأبطال و التاريخ جيوفاني فيكو – كارليل)**

أولا : دور الأبطال في صناعة الحدث التاريخي \_ جيوفاني فيكو \_

1 - التعريف بالفيلسوف :

فيكو جيوفاني باتيستا مؤرخ و فيلسوف إيطالي , ولد في 23 جوان 1688 م

بنابولي اهتم بربط القانون بالأبحاث اللغوية و التاريخ , كما درس الأدب و البلاغة

و الفلسفة والمنطق و اللاهوت ..., أول من وضع نظرية في فلسفة التاريخ في

كتابه )مبادئ علم جديد(, الذي صدر عام 1725 وشرح فيه مراحل التطور

الاجتماعي في اشكالها التاريخية .

2\_ التاريخ و أطوار الحضارة عند فيكو :

ترتكز نظرية دور الأبطال في صناعة التاريخ أن الأبطال و الرجال العظماء هم

من يصنعون تاريخ البشرية و أن الأبطال هم الذين يرفعون شعوبهم للقمة و

الصدارة و بالتالي فالتاريخ هو تاريخ العظماء .

يعتبر فيكو في نظر الكثير من الباحثين الذين نظر لفلسفة التاريخ و أول من أرسى

قواعد فلسفة التاريخ في العصر الحديث حيث اعتبر فيكو الحضارة وحدة لدراسة

التاريخ اهتم بالتاريخ الإنساني ونمو الحضارات وتطورها في كتابه العلم الجديد في

الطبيعة المشتركة بين الأمم كغيره من المفكرين و فلاسفة التاريخ حاول أن يضبط

لنا مراحلها انطلاقا من نشأتها ونهضتها وصولا إلى انحلالها و سقوطها ,فكل

الشعوب في مسار تطورها تمر وفق ثلاث مراحل فما حقيقة هذه المراحل وما

الذي يميزها عن بعضها البعض .

لقد تصور فيكو أن تاريخ الإنسانية يتم تطوره عبر ثلاث عصور أو مراحل

حضارية متتابعة و صاعدة في شكل حركة لولبية أو حلزونية هذه المراحل هي

المرحلة اللاهوتية ,المرحلة البطولية ,المرحلة الإنسانية و ان كل دورة حضارية

متفتحة على الدورة الحضارية الأخرى الأعلى و الأرقى منها على المستوى

الحضاري أي ان كل حضارة تكون أفضل من الحضارة الأخرى التي سبقتها .

إن الحركة الدائرية لتعاقب الحضارات في تصور فيكو لا تسير في شكل حلقات

دائرية ولكنها تسير في حلقة حلزونية كالسلم أو كمدارج الجبال إلى الأعلى فلا

تعود الدائرة إلى النقطة نفسها التي بدأ منها ولكنها تصل إلى نقطة أعلى منها ,

فالبربرية التي انحطت إليها الحضارة الإغريقية القديمة هي غير البربرية التي

انحطت إليها الحضارة الرومانية القديمة .

\* مراحل الحضارة عند فيكو :

إن الطرح في فلسفة فيكو يبين أن المجتمعات الإنسانية تمر بمراحل معينة من

التطور الذي ينتهي إلى الانحلال و السقوط في البربرية لتبدأ من جديد مراحل

أخرى أعلى من منها درجة وقوة مما سبقتها ,لينتهي هذا التطور بدوره إلى

الانحلال والسقوط ,و بذلك تتصل وتتداخل في منظوره الحلقات التاريخية ,فليس

التقدم إلا نصف حركة دورية نصفها الأخر الانحلال ,و التاريخ شأنه شأن الحياة

هو تطور و انحلال في تعاقب , فنظرية التعاقب الدوري للحضارات عند فيكو

تقوم على فكرة أن كل الشعوب تمر في مسارتطورها عبر ثلاث مراحل سماها

عصورا على النحو الاتي :

أ - عصر الألهة : هذا العصر يمثل المرحلة الأولى من الدورة التاريخية حيث يسودها

التفكير الخرافي و الأسطوري والخوف من الظواهر الطبيعية و إيمانهم الشديد

بإرادة و سلطة الألهة وحكمها المطلق في مصير البشرية أي ان كل العلل والوقائع

في التاريخ تنسب إلى القوى الغيبية أو إلى الله .أما السلطة فتكون بين الكهنة

ورجال الدين الذين يحكمون الناس و يشرعون القوانين باسم مشيئة الألهة .

ب – عصر البطولة ) دور الأبطال النبلاء ( : هذا العصر يشهد انتقاله من عصر

الألهة إلى عصر البطولة تدريجيا و ما ساعد ذلك هو اتحاد مجتمعات متعددة مع

بعضها البعض من أجل مواجهة الصعاب و الأخطاء الداخلية والخارجية , هذا

التفسير الانتقالي له مرجعية تاريخية فهو مجرد إلا تعبير عن تاريخ إيطاليا إبان

القرن الثاني عشر ميلادي ,التي شهدت صراعا بين البيزنطيين والمسلمين و

15

النورماديين و استلاء و استرجاع هذا الأخير لسيادتهم على مختلف المناطق خاصة

جنوب إيطاليا .

كما أن ما يميز هذا العصر هو عصر القوة حيث يشهد انتقال السلطة من يد رجال

الدين والكهنة إلى رجال الحرب و السياسة ,وهذا الأخير يدفع إلى ظهور

شخصيات فاعلة في حركة التاريخ وهي ما تدعى بشخصية البطل في التاريخ و

اهم ما يميز هذا العصر هو حب البطولة و تمجيد القوة أي أن مقاليد الحكم تكون

في يد أبطال أشداء محاربين قادة أقوياء يعتقد الناس أنهم أسمى من البشر, ما يميز

هذه المرحلة انقسام المجتمع إلى طبقات متمايزة حيث يفصل بين السادة و العبيد إذ

يحصل التفاوت وانعدام العدل والمساواة بصفة مطلقة ,مما يعني غياب الفضيلة

التي هي أساس وحدة و تماسك أفراد المجتمع .

ج - عصر الإنسانية: إن هذا العصر الأخير يختلف اختلافا جوهريا عن عصر

البطولة حيث يتم فيه الاعتراف بالمساواة بين البشر , و ذلك حينما تحصل الشعوب

على حقوق المواطنة و بذلك تصبح أهم ميزة لهذا العصر وهي الأنظمة

الديمقراطية أي المساواة في الحقوق و الواجبات أمام القانون و كمواطنين أحرار

,حيث يتم فيه ممارسة السلطة من طرف أغلبية الشعب و ذلك بإشراك الشعب في

اختيار ممثليه بالانتخاب .

ثانيا : البطل والتاريخ من منظور كارليل :

1\_ التعريف بالفيلسوف : ولد باسكتلندا عام 1795 , التحق بجامعة ادنبرج

واشتغل بالتدريس, من أهم مؤلفاته " فلسفة الملابس" , "سيرة كرمويل", "تاريخ

فريديريك ملك بروسيا" ثم " في الأبطال وعبادة البطولة". يمتاز بأسلوب رومانسي

انفعالي حاد, توفي عام 1881.

2 – دور البطل في التاريخ :

عبر توماس كارليل في حماس بالغ عن دور الابطال في التاريخ و ان التاريخ

العالمي في صميمه تاريخ العظماء و ما انجزوه ,إن كل ما تم إنجازه في العالم انما

هو الحصيلة المادية الخارجية و التحقيق العملي و التجسد الحي لأفكار عاشت في

عقول عظماء عاشوا في هذا العالم انهم روح التاريخ العالمي كله .

16

الأبطال و عبادة البطولة" على أن « : يتحدث توماس كارليل في كتابه الشهير

البطل هومن يصنع التاريخ و الحدث في العالم و هذا ما يؤكده في قوله :" أن

التاريخ العام و تاريخ ما أحدثه الإنسان و العالم إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا

من العظماء, فهم الأئمة و هم المكيفون للأمور و هم الأسوة و القدوة و هم

المبدعون... فكل ما بلغه العالم و كل ما تراه قائما في هذا الوجود كاملا متقنا فاعلم

أنه نتيجة أفكار هؤلاء العظماء....فروح تاريخ العالم هو تاريخ اولئك الفحول ,إن

المعنى الحقيقي للبطل عند كارليل هو ذلك الشخص الذي يتمتع بإمكانيات راقية

من الفكر و الذكاء و القوة و الشجاعة و غيرها من الصفات الإيجابية لشخصية

البطل و بهذا يكون كارليل قد وسع من دائرة مهام البطل فلم يعد مفهوم البطل

يقتصر على القادة السياسيين و العسكرين فقط بل البطل أيضا أديب و فيلسوف و

فنان و نبي و قسيس و ملك و زعيم سياسي و عسكري .و حلل كارليل عناصر

العظمة في البطل إلى ثلاثة أسباب وهي : الإيمان بأن البطل قد اختاره الله ,

الإيمان بالجبرية التي يعبر عنها البطل برسالته , أن يتحلى البطل بالشجاعة .

وهكذا ومع اعتبار كارليل ممثلا لنظرية " البطولة صانعة التاريخ " حيث أن

البطولة عنده لا تقتصر على السياسة والحرب . بل أطلقها على أفراد ممثلين

لمختلف جوانب الحضارة, مقتربا في ذلك من النظرية المقابلة القائلة بأن الحضارة

صانعة التاريخ. ومع ذلك فقد كان يعد البطولة السياسية والعسكرية أسمى

البطولات ,وأنه لم يمجد القادة والسياسيين تمجيدا مطلقا, بل كان على وعي

بالفرق بين البطولة الحقة والبطولة المزيفة .